قضية الصدق والكذب عند "ابن طباطبا"

د. نبيل أحمد عبد العزيز رفاعي(*)

نسبه وحياته ومكانته الأدبية:

"ولد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابـــن إبـــراهيم طباطبـــا بـــن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبـــد المطلب بن هاشم شاعر مفلق وعالم محقق شائع الشعر نبيه الـــذكر مولـــده بأصبهان وبها مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ولـــه عقـــب كثيـــر بأصبهان فيهم علماء وأدباء ونقباء ومشاهير وكان مذكورا بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد"(١).

عصره وحياته وأدبه :

" عاش ابن طباطبا في نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الرابع مـــن الهجرة في عصر بدأت فيه الدولة العباسية مرحلة من مراحل انحلالها علي أيدي جماعات القواد الأتراك والخدم زمن المعتمـــد والمعتـــضد والمكتفـــي والمقتدر والقاهر، وكانت الدولة الإســـلامية نهبـــاً للثـــائرين والخـــارجين والمتآمرين ، من أمراء الأطـــراف ، ورجـــال الجـــيش ، وخـــدم القـــصر ، والعلويين ، والقرامطة ، وغيرهم ممن أغراهم ضعف الخلافـــة ، ودفعـــتهم الأطماع إلى استحواذ ما يمكن من البلاد ، واكتساب ما تصل إليه أيديهم من الأسلاب وكانت أصبهان في هذا العصر زاخرة بالنشاط ، غنيـــة بمواردهـــا وتجارتها ، ونواديها الأدبية والعلمية ... وهبتها الطبيعة بـــسخاء، فجـــرى إليها نهر أصبهان المعروف بزندروذ "(٢). "وهو غاية في الطيـــب والـــصحة والعذوبة . وقد وصفه الشعراء فأفاضوا "(٣).

(*) مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج.

(١) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ط: دار الكتب العلمية- بيروت - ١٤١١ هـــ - ١٩٩١م، الطبعة: الأولى ج٥/ص٩٧.

(٢) مقدمة كتاب عيار الشعر د / زغلول سلام ص ٩ .

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ ص ٢٠٨ - ط دار الفكر بيروت.

قال ياقوت عن هذه المدينة :"مدينة عظيمة مشهورة ، من أعلام المدن وأعيانها ، ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف "(١).

وقال عنها الثعالبي : " لم تزل أصبهان مخصوصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء وفحولة الكتاب والشعراء "(٢).

ما أردته من خلال سردي لأوصاف تلك المدينة هو معرفة بيئة هذا الناقد ، وما لهذه البيئة من أهمية بالنسبة لنشأة الأديب ، أو الشاعر، أو الناقد فالبيئة هي المعين الأول للمبدع فكلما صفت، صارت قريحة الأديب صافية ، فمن خلال السرد السابق وجدنا أن بيئة "ابن طباطبا " التي نشأ فيها تميزت بصفاء ونقاء الطبيعة ، إلى جانب ذلك حملت علي أراضيها وبين طياتها النوادي الأدبية ، والعلمية التي عملت على إثراء الحياة الأدبية. نتيجة لذلك كان فيها من العلماء والأدباء والنقاد كثيرون ممن ظهروا في تلك الفترة الزمنية . إن صفاء الطبيعة ونقاءها إنما يعطيان مؤشراً أوليا يدل علي صفاء ونقاء قريحة من عاش فيها ،ونشأ بها.

ما أودُّ قوله : إن هناك عروة وثقى بين المبدع وبين البيئة التي نشأ فيها ، فمن خلال نشأة " ابن طباطبا " في تلك البيئة التي تحدثت عنها ، أرى نفسي تميل إلى الآراء التي تحدثت عن شاعرية الرجل ، كما أراها تميل إلى أحقية هذا الناقد العظيم ، في أن يضع أسساً للشعر، يسير عليها من أراد الجودة لشعره من الشعراء، وخاصة المبتدئ منهم .

*** علمه وشاعريته:**

كان " ابن طباطبا" جاداً في طلب العلم محباً له ، ومما يؤكد ذلك ما ذكره في قصيدته التي جاءت في معجم الأدباء يقول فيها :

حسود مريض القلب يخفي أنينه
ويضحى كئيب البال عندي حزينه

(١) معجم البلدان الحموى ج١ ص ٢٠٦ – ط دار الفكر – بيروت .

(٢) يتيمة الدهرج٣ ص ٣٤٩ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ط أولى تحقيق د / مفيد قميحة .

يلـــوم علـــي أن رحـــت فـــي العلـــم راغبـــاً
أجمِّـــع مـــن عنـــد الـــرواة فنونـــه
وأملـــك أبكـــار الكـــلام وعونـــه
وأحفـــظ ممـــا أســـتفيد عيونـــه(١)

كما كان ابن طباطبا صاحب ثقة عالية بنفسه ، من حيث تمكنه مـن اللغة وقدرته على إنشاء الشعر يقول في ذلك : " والله أنا أقدر علـى أبـيٍّ الكلام من واصل بن عطاء[٢] ، وعلق على ذلك د / زغلول سلام فقال : "فقد ألف قصيدة تحاشى فيها حرفين من حروف المعجم لرجل كان يلكن بهما ولا يجريان على لسانه كما كان ابن طباطبـا "سـريع الخـاطر ينـشد الـشعر بديهة"[٣].

إن ما ذكرت من أدلة على شاعرية الرجل ، إنما هو قليلٌ مـن كثيـر من الآراء التي تؤكد شاعريته وتمتدحها.

أما السبب الذي دعاني أن أذكر هذه الآراء التي تحدثت عـن مكانـة الرجل الشعرية أن سؤالاً دار بذهني . هل يشترط في الناقد للشعر أن يكون شاعراً ؟

إن تصوري الخاص للإجابة على هذا السؤال هو أن الناقد الذي يجيد الفن الذي يعمل به في أي مجالٍ من المجالات ، وليس الأدب فقـط ، أجـدر من رفاقه الآخرين الذين يفقدون الكثير من المعرفة الواعية للمجـال الـذي يعملون به .فكيف بك إذا تحققت للناقد ، أو المبدع عامة الموهبة الفطريـة إلى جانب الدرس والقراءة والاطلاع على أعمال من سبقه مـن مبـدعين ،

---

(١) ينظر : معجم الأدباء ج٢ ص٨١. ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية مـن حلها من الأماثل، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبـة الله بـن عبـد الله الشافعي، ط: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمـر ابن غرامة العمري ج ٦ ص٧٧ ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعرء والبلغاء، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصـفهاني، ط : دار القلـم - بيروت - ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، تحقيق: عمر الطباع ج١ ص ٤٩.

(٢) مقدمة كتاب عيار الشعر ص ١١ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

اعتقد أن ذلك يضيف إليه صقلاً إلى جانب الموهبة الفطرية ، يزيد من رصانته ، ويرسخ في الذهن تلك الموهبة ، ويزيدها قوةً إلى قوتها ، وأرى أن ابن طباطبا من هؤلاء الذين رزقوا الموهبة الفطرية ، التي زادتها الطبيعة الصافية صفاءً ، كما زادها الدرسُ والاطلاع والممارسة قوةً وجودة.

لم يكن ابن طباطبا " شاعراً يعتمد على الموهبة فحسب ، ولكنه كان شاعراً عالماً ، انصرف إلى درس الشعر وتأمله ، وقراءة ما كتبه العلماء السابقون فيه ، وخلَّف في ذلك طائفة غير قليلة من الآثار التي يدل ما بقي منها على علمٍ واسع غزيرٍ ، وبصيرةٍ قوية"(١).

***وفاته :**

" توفي أبو الحسن سنة ٣٢٢هـ بعد حياةٍ حافلةٍ بالعلم والأدب وقول الشعر ، وأعقب في أصبهان كثيراً ، وكان من عقبه علماء ، وأدباء، ونقباء، ومشاهير "(٢).

أما عن الفلسفة والمنطق عند ابن طباطبا لم تكن عنده إلا أثارة من ثقافة فلسفية، لم تلهمه أحكاماً ، وإنما أفادته في تعميق نظرته ، ولذا نجده قد اعتمد في نقده على صفاء الذوق ، فلم يكن مثلا كـ" قدامة" الذي تأثر بالفلسفة تأثراً كبيراً، ولم يغلب عليه " المنطق الصارم على تأليف أو التقسيم الجامد الذي يتمسك بالحدود والأرقام فهو يجمع بين القسمة المنطقية والروح الأدبي والتذوق "(٣).

فمن وجهة نظره الخاصة أرى أن المنطق الصارم ، والتقسيم المنطقي الذي يتمسك بالحدود لو وجدا في عمل أدبي إنما يحولانه إلى عمل علمي ، بمعنى آخر لا يصلح أن يكون ذلك إلا في العمليات الحسابية، فما المنطق الصارم في الأدب إلا لغة جدلية يراد بها إقناع الغير، معتمداً في ذلك على إيجاد مقدمات مقبولة . أما العمل الأدبي فلا بد أن تتحقق فيه الروح

---

(١) مقدمة كتاب عيار الشعر ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ص١٣.

(٣) مقدمة كتاب عيار الشعر ص ١٩.

الأدبية المفعمة بالمعاني الصادقة والألفاظ الواضحة، فعلى سـبيل المثـال لا نطلب من الشعر ولا يراد منه إلا إيقاع المعاني في نفوس السامعين . ولـذا يمكننا القول بأن ابن طباطبا وإن كان قد تأثر بالمنطق إلا أنه لم يكن تـأثيراً طاغياً ، وإنما تمثل في استخدام بعض الألفاظ المنطقية مثل كلمتي " الحد" و" النهاية" وغيرهما، وإلا ما كانت الآراء التي حكمت ، وأقـرت بـشاعريته ، ولتحولت نصائحه وأسسه التي وضعها للمفطورين من الشعراء والمبتـدئ منهم إلى مسائل حسابية قد ساقها إليهم .

وأما عن كتاب عيار الشعر الذى سنقوم بدراسة الصدق والكـذب فيـه ، فإنه يحتوى على عدة محاور منها أنه جعل علة الشعر الحـسن المقبـول " الاعتدال " والاعتدال عند ابن طباطبا معادلاً فنياً لكلمة الصدق .

كما تحدث عن " صدق المعاني " وجعـل المستحـسن فـي المعـاني الوضوح والصدق في التعبير عن المراد ، وقام بالتطبيق على ذلك بأشـعار وضح فيها أن المستحسن من هذه الأبيات حقائق معانيها الواقعة لأصحابها.

كما تحدث عن " الصدق وعلاقته بالفهم " فبين أن الفهم يـأنس مـن الكلام بالعدل ، والصواب ، والحق . فالجمال والحق أيضاً معادلان لمفهـوم الصدق ، كما بين لنا أن الصدق عنده يعني السلامة التامة من الخطـأ فـي اللفظ ، والجور في التركيب ، والبطلان في المعنى ، كما أشـار إلى أن الصدق لابد أن يتحقق في الفنان أولاً ، وفي عناصر العمل الفني ثانياً .

ثم تحدث لنا عن " الشعر والكذب " موضحاً أن الفهم لا يقبل البعد عن الحقيقة فإن تحقق هذا البعد صار الشعر كاذباً .

كما تناول أيضاً قضية " الصدق وطريقة العرب في التشبيه" ، وعـن مدى الصدق في تشبيهاتهم ، داعياً الشعراء للسير على طريقة العرب فـي تشبيهاتهم ، مؤكداً أنه لابد للشاعر من تضمين شعره أوصافاً تساعد علـى تصديقه.

لقد جعل ابن طباطبا للصدق دروباً مختلفة منها :

الصدق عن ذات النفس ، وصـدق التجربـة الإنـسانية ، والـصدق التاريخي ، والصدق الأخلاقي ، والصدق التصويري وسماه أيـضاً صـدق التشبيه ، ثم قسم هذه التشبيهات لأنحاءٍ مختلفـة ، ثـم دلـل علـى هـذه

التشبيهات الصادقة ببعض الأشعار ، والأوصاف الخاصة ، كما سيتضح لنا موقف " ابن طباطبا" النقدى ، والذي يرى فيه اتباع السنة، وينفى الفرق بين القصيدة والرسالة إلا في النظم .

من خلال ذلك كله يمكننا القول بأن ابن طباطبا قد التزم الصدق والحقيقة في العمل الأدبي ، إلا أن بعض النقاد يرى أن تمسك ابن طباطبا بالحقيقة شديد الجناية على الأدب ، وضرب لذلك مثالاً الشعر الذي قاله المثقب العبدي على لسان ناقته ، وعابه عليه ابن طباطبا ، إلا أننا في النهاية يمكننا القول بأن محاولة ابن طباطبا النقدية من أشد المحاولات النقدية أصالة . كما سيتضح لنا في الصفحات التالية :

*** ابن طباطبا والنقاد العرب :**

نود أن نشير في إيجاز إلى العلاقة التي كانت بين ابن طباطبا والقدماء والمحدثين من النقاد ، وحين نقول العلاقة نقصد علاقة التأثير والتأثر الأدبي " فابن طباطبا يعتبر بكتابه عيار الشعر تكريراً لكل ما قاله النقاد قبله؛ هو عودة لنزعة الجاحظ العقلية ، ونزعة ابن قتيبة التقريرية ... هي محاولة لتحديد الشعر وحبسه مرة أخرى داخل تعريفات محددة كما أن به – للحق – لمسات طفيفة من نقد ابن سلام الذوقى [١] .

كما نجد أن " مفهوم العسكرى للشعر كثيراً من مفهوم ابن طباطبا"[٢].

ابن طباطبا والآمدي :

احتكم الآمدى إلى طريقة العرب ، وهذا يذكرنا بابن طباطبا في منهجه مما يدل على علاقة بين الناقدين . إن ما ذهب إليه الآمدي " من الاحتكام إلى طريقة العرب ، يذكرنا بالمنهج الذي اختاره ابن طباطبا فى عيار الشعر حين حدد طريقة العرب في التشبيه ، إلا أن الآمدي أربى عليه وكمل عمله ،

---

(١) مفهوم الشعر فى النقد العربى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى – د / محمود الحسينى المرسى ص١٨٤ – دار المعارف ١٩٨٣م .

(٢) المرجع السابق ص١٨٦.

حين اهتم بالاستعارة ، وبذلك التقت جهود ناقدين كبيـــرين علـــى ضـــرورة مقاربة الحقيقة أو ما سماه ابن طباطبا الصدق في التشبيه"[١]

***ابـن طبـاطبـا وقدامة بـن جعفر:**

يشترك قدامة بن جعفر مع ابن طباطبا في أمور ويختلفان في أمور " فالفرق بين قدامة وابن طباطبا أن الأول يريد أن يضع للشعر مخططاً منطقياً بقطع النظر عن السعة والشمول وحكم الذوق ، والثاني يحاول أن يحد مـــن طغيان الذوق بشئ من القواعد والأسس . ولكن بينهما مـــن الـــشركة مـــا يتضح في موقف كل منهما من التشبيه فقد اشترط ابن طباطبا أن يقوم التشبيه على " الصدق " لأنه المبدأ الكبير في نظرته النقدية "[٢].

*** ابـن طبـاطبـا والنـقـاد المحدثون :**

" لعل ابن طباطبا أول من تنبه لمراحل الإبداع الشعري ممـــا يـــصدق أكثره على ما توصل إليه النقاد المحدثون ، لأنه يرى أن الطبع أو الإلهام لا يكفيان للخلق الشعري ، إذ لابد من الدربة ، وســـعة الاطـــلاع ... إن ابـــن طباطبا يتفق مع النقاد المحدثين الذين يرون أن الإبداع الفني ليس تلقائيـــاً بحتاً ، وليس إرادياً من ألفه إلى يائه . الشاعر عنده ــ كما هو عنـــدهم ــ عند إبداعه للقصيدة يمر بحـــالتين : حالـــة التلقـــي الإلهـــي أو الانطـــلاق اللاشعوري، والذي ليس للجهد دخل فيه ، ثم يمر بلحظات أخرى لها جهـــد ومجاهدة وتنقيب "[٣].

" وهكذا توصل ابن طباطبا بذوقه الفني إلى جوهر ما توصـــل إليـــه النقاد المحدثون بشأن الإبداع الفني ، فهو ليس إلهاماً يـــسقط عليـــه مـــن السماء وإنما تتدخل القراءات والتأملات والمشاهدات السابقة ، ومحـــاولات الشاعر نفسها "[٤] .

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/إحسان عباس ص ١٧٠.

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص٢٠٦ ، ٢٠٧.

(٣) مفهوم الشعر في النقد العربي ص١٣٧ ، ١٣٨.

(٤) المرجع السابق ص ١٣٩.

مما سبق تتضح لنا بعضاً من العلاقات الفنية بين ابن طباطبا والنقاد، كما وضح لنا أنه يوعز مراحل الإبداع إلى التذوق الفني ، أو الطبع والإلهام ، إلا أن ذلك ليس كافياً بل لابد أن يكون إلى جانبه القراءة ، والدربة ، والتأملات والمشاهدة السابقة ــ أي التجارب التي مرّ بها ــ أو التي حدثت كذلك للسابقين للاستفادة منها في مراحل إبداعه ، ولقد اتفق ابن طباطبا في ذلك مع النقاد المحدثين ، والذين توصلوا إلى ما توصل إليه ابن طباطبا بعد قرون من الزمان ، مما يدل ويؤكد على الاستفادة من هذا الناقد الفذ .

قضية الصدق والكذب عند فلاسفة اليونان والفلاسفة المسلمين

إن دراسة قضية الصدق والكذب لا تتضح إلا بالبحث عن معرفة هذا الموضوع عند اليونانيين . ليتبين لنا مدى تأثر الفلاسفة والأدباء العرب بالفلاسفة اليونانيين كأرسطو وأفلاطون .

من أجل ذلك رأيت لزاماً علينا أن نبحث عن الصدق والكذب لدى بعض فلاسفة اليونان ، وفلاسفة المسلمين ، حتى يتسنى الحديث عن ابن طباطبا ولنعرف مدى تأثره بالفلاسفة السابقين من عدمه .

*** الكلمة الكاذبة عند أفلاطون:**

حدد أفلاطون بعضاً من الشروط التي تجعل العمل الأدبي مؤثراً في المستمع مستخدماً في ذلك " خبرة البلاغيين وملاحظاتهم بشأن (الكلمة الكاذبة المقنعة) ، يزعم أفلاطون أن مقولته " الفضيلة سارة دائماً " مقنعة، وبذلك يحدد طبيعة تأثيرها في الناس ، إنه إذ يلزم فن الكلمة أن يكون مقنعاً ــ يسمح له في الوقت نفسه ــ أن يكون كاذباً ، أي أنه يستخدم الاختلاق بحرية ، داعياً الأدباء إلى إخضاع الاختلاق والإقناع لخدمة الغاية النهائية"[١]

(١) مجلة عالم الفكر ــ المجلد الخامس والعشرون العد د الثالث يناير / مارس ١٩٩٧ م ص ٢٠٧ مقال للدكتور / فؤاد المراغي عنوانه " نظرية الشعر في اليونان القديمة"

يتجاوز أفلاطون هنا البلاغيين في مطالبة الشعراء بالإقناع ، وكأنـــه يطالب بتجريب كل الطرق من أجل أن يتفاعل المستمع مع المبدع .

فمن شروطه أن يستخدم المبدع الاختلاق بحرية كاملة ، إلا أن ذلـــك الأمر لابد له من الإقناع .

*** الصدق عند أفلاطون :**

" لقد افترض تقويم الفن بمعيار الصدق موقفاً جديداً من العمل الفني نفسه ، ففي حين لا يقوم معيار الفائدة والمتعة الشعر نفسه ، وإنما الانطباع الذي يتركه في المستمع ، أي نتيجة تأثيره فيه ، فإن معيار الصدق يجب ألا يطبق علي تلك النتيجة وإنما على العمل نفسه صدق المحاكاة الشعرية إلـــى الشاعر ولا المستمع ، بل إلى شخص ثالث هو الناقد ، والذي يجب عليه أن يمتلك معرفة دقيقة بموضوع الفن " [١]

نستطيع أن نقول إن أفلاطون ، اتخذ موقفاً جديداً من العمـــل الفنـــي، وهو تطبيق معيار الصدق على العمل الأدبي نفـــسه ، إلا أن ذلـــك يـــستلزم معرفة قوية بموضوع الفن ، فهو هنا يقصد الناقد الأدبـــي الـــذي يجـــب أن يكون مؤهلاً لذلك ، لأن معيار الصدق في هذه الحالة لا يعتمد على المتعـــة الحسية لدى المستمع ، أو الانطباع الذي يكون عنده ، وإنما يعتمد اعتمـــاداً كلياً على هذا القاضي الذي يجب أن يكون ذا قدرة فائقة بمعرفة تقنية الكتابة أيضاً .

*** مفهوم الصدق والكذب عند أرسطو:**

" لم يكن الكذب الشعري في نظر أرسطو اختلاقاً ، بـــل هـــو محاكـــاة عقلية وهمية . وهو يرى أن القيام بالمحاكاة الوهمية سمة عادية من سمات العقل البشرى . ويمتدح تأسيساً على ذلك ، هوميروس لقدرته علي استخدام الخطأ المنطقي كما يجب "[٢] .

يقول : " وهوميروس بخاصة هو الذي علـــم ســـائر الـــشعراء مـــن الاحتيالات المتقنة الصنع ، أعنى المغالطة فإذا كان وجود أو وقوع واقعـــة

---

(١) مجلة عالم الفكر ص ٢١٠ – مرجع سابق .

(٢) مجلة عالم الفكر ص ٢٢٤ - مرجع سابق.

يستلزم نتيجة له ، وجود أو وقوع واقعة أخرى ؛ فإن الناس يجنحون إلى اعتقاد أنه أينما وجد التالي وجد المقدم بالضرورة ، ولكن هذا باطل ، ولهذا فإنه إذا كان المقدم باطلاً ، كان هناك شئ آخر يجب أن يوجد أو يقع إذا كان صادقاً ، فيجب ضم الاثنين ؛ لأنه متى كان العقل يعلم أن هذا الشئ الآخر صادق ، فإنه يستنتج من هذا ــ خطأ ــ أن المقدم هو الآخر صادق "[١].

فأرسطو يخالف أفلاطون حيث إنه فضل المحاكيات التي تمثل الواقع كما هو ، بينما أفلاطون يسخر من المحاكيات العقلية المماثلة للحقيقة .

هذا ويدعونا أرسطو إلى " أن نفضل المستحيل المحتمل على الممكن الذي لا يقبل التصديق "[٢].

*** الصدق الفني عند أرسطو:**

ولقد طرح أرسطو فهماً جديداً للصدق الفني " إذ لم يعد الصدق الفني عنده الالتزام الدقيق بالقواعد النحوية أو تصوير موضوع المحاكاة تصويراً صحيحاً ، أو صلاح الموضوع أخلاقياً ، بل بات يعني تحقيق متطلبات اللون الأدبي نفسه ، وصلاح الأجزاء في آداء وظائف مجدده في بنية العمل الفني"[٣]

مما سبق يتضح لنا : أن أرسطو لم يقصد بالصدق الفني التزام الشاعر بالقواعد اللغوية التزاماً دقيقاً ، أو تصوير الشئ الذي يتناوله الفنان تصويراً مماثلاً صحيحاً فهذا ليس مهمة الشاعر الأساسية وفي هذا أيضاً يقول : " إن مهمة الشاعر الحقيقية ليست في رواية الأمور كما وقعت فعلاً، بل رواية ما يمكن أن يقع "[٤].

---

(١) فن الشعر فى الشعر ــ أرسطوطاليس ص ٦٩, ٧٠ – ترجمة / عبد الرحمن بدوى – دار الثقافة – بيروت – لبنان .

(٢) فن الشعر فى الشعر ص ٧٠.

(٣) مجلة عالم الفكر ص ٢٢٥.

(٤) فن الشعر فى الشعر ص ٢٦ .

*** الصدق والكذب عند فلاسفة المسلمين :**

يقول الفارابي :

" إن الألفاظ لا تخلو من أن تكون : إما دالـــة ، وإمـــا غيـــر دالـــة . والألفاظ الدالة : منها ما هي مفردة ، ومنها ما هي مركبـــة . والمركبـــة : منها ما هي أقاويل ومنها ما هي غير أقاويل . والأقاويل : منهـــا مـــا هـــي جازمة ، ومنها ما هي غير جازمة . والجازمة منها ما هي صادقة ومنها ما هي كاذبة. والكاذبة : منها ما يوقع في ذهن السامعين الشئ المعبـــر عنـــه بدل القول ، ومنها ما يوقع فيه المحـــاكى للـــشئ . وهـــذه هـــي الأقاويـــل الشعرية"[١].

من خلال ما سبق نرى أن الفارابي يورد لنا من الأقاويـــل مـــا هـــي جازمة وما هي غير جازمة ، ففي النظرة الأولى لكلمة " جازمة " نعتقد أنها طالما كانت جازمة ، فلا بد أن تكون صادقة ، لكنها عند الناقـــد المتمـــرس غير ذلك ، فقد تكون الكلمة جازمة ، غير أنها كاذبة .

ويسمي " الفارابي " هذه التقسيمات القياسات ، مما يدل علـــى أثـــر المنطق عليه يقول في موضع آخر :

" وقد يمكن أن نقسم القياسات ، وبالجملة الأقاويل، بقـــسمة أخـــرى فيقال: إن الأقاويل إما أن تكون صادقة لا محالة بالكل . وإما أن تكون كاذبة لا محالة بالكل ، وإما أن تكون صادقة بالأكثر كاذبة بالأقل ، وإما أن تكـــون عكس ذلك ، وإما أن تكون متساوية الصدق والكذب . فالـــصادقة بالكـــل لا محالة هي البرهانية، والصادقة بالبعض على الأكثر فهي الجدلية. والصادقة بالمساواة فهي الحظية ، والصادقة في البعض على الأقل فهي السوفسطائية ، والكاذبة بالكل لا محالة فهي الشعرية "[٢].

إذن الفارابي في تقسيمه السابق للكلام الصادق والكاذب وضع الشعر تحت ما يكون كاذباً بالكل لا محالة .

---

(١) فن الشعر رسالة في قوانين صناعة الشعراء للمعلم الثاني (الفارابي) ص ١٥٠ – رسالة فى قوانين الشعراء للفارابى .

(٢) فن الشعر فى الشعر ص ١٥١.

*** ثانياً : ابن سينا :**

يبدأ ابن سينا بمقدمة يتحدث فيها أولاً عن تعريف الشعر يقول فيها: إنه " كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية " (١).

والكلام المخيل عند ابن سينا هو : " الكلام الذي تذعن لـه الـنفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار وبالجملـة تنفعل له انفعالاً نفسياً غير فكرى سواء كان المقول مصدقاً به أو غير مصدق . فإن كونه مصدقاً به غير كونه مخيلاً أو غير مخيل :

وعلي هيئة أخرى انفعلت النفس عنه طاعة للتخييـل لا للتـصديق . فكثيراً ما يؤثر الانفعال ولا يحدث تصديقاً وربما كان المتيقن كذبـه مخـيلاً. وإذا كانت محاكاة الشئ بغيره تحرك النفس وهو كاذب ، فلا عجب أن تكون صفة الشئ على ما هو عليه تحرك النفس وهو صادق ، بل ذلك أوجب "(٢)

كما يرى ابن سينا أن الناس أطوع للتخييل منهم إلى التصديق ، لأن الكذب قوة تخييلية يستعملها الشعر يقول:

" لكن الناس أطوع للتخييل منهم للتصديق ، وكثير مـنهم إذا سـمع التصديقات استكرهها وهرب منها .

وللمحاكاة شئ من التعجيب ليس للـصدق ... والقـول الـصادق إذا حرِّف عن العادة وألحق به شئ تستأنس به النفس فربمـا أفـاد التـصديق والتخييل معاً ، وربما شغل التخييل عن الالتفات إلـى التـصديق والـشعور به"(٣) .

ثم يقارن بين أثر المحاكاة والتي هي ــ التخييل ــ وبين التـصديق، فيرى أن كليهما إذعان" فالتخييل" إذعان ، والتصديق إذعان ، لكن التخييـل إذعان للتعجب والالتذاذ بنفس القول ، والتصديق إذعان لقبول أن الشئ على

---

(١) فن الشعر ــ أرسطوطاليس ــ ترجمة عبد الرحمن بدوى ــ الفن التاسع من كتـاب الشفاء لابن سينا ص ١٦١.

(٢) فن الشعر ــ أرسطوطاليس ــ ترجمة عبد الرحمن بدوى ــ الفن التاسع من كتـاب الشفاء لابن سينا ص ١٦١, ١٦٢.

(٣) فن الشعر ــ أرسطوطاليس ــ ترجمة عبد الرحمن بدوى ــ الفن التاسع من كتـاب الشفاء لابن سينا ص ١٦٢ .

ما قيل فيه.فالتخييل يفعله القول لما هو عليه،والتصديق يفعله القــول بمــا المقول فيه عليه،أي يلتفت فيه إلى جانب حال المقول فيه" [١].

يفهم من ذلك أن ابن سينا قد مال إلـــى التخييـــل ، ورأى استحـــسان الناس له ، وبعدهم أو كراهيتهم للتصديقات والهروب منها . فالكـــذب فـــي الشعر عنده يساوى عملية الخلق والإبداع الفني مما حدا بالقدماء أن يقولوا " أعذب الشعر أكذبه "

*** الصدق والواقع عند ابن رشد :**

يقول ابن رشد متحدثاً عن صناعة الشعر، ضارباً مثالاً بغـــرض مـــن أغراضه وهو" المدح" على الشاعر أن يعتمد أموراً موجـــودة ، لا اختـــراع فيها، ذلك لأن الأشياء أو الأفعال الممكنة أكثر وقوعاً في الـــنفس ، وأقـــرب للتصديق يقول : " وأكثر ما يجب أن يعتمد في صـــناعة المـــديح أن تكـــون الأشياء المحاكيات أموراً موجودة ، لا أمور لها أســـماء مخترعـــة ، فـــإن المديح إنما يتوجه نحو التحريك إلى الأفعال الإرادية . فـــإذا كانـــت الأفعـــال ممكنة ، كان الإقناع فيها أكثر وقوعاً ، أعنى التصديق الشعري الذي يحرك النفس إلى الطلب أو الهرب "[٢]

*** إطالة الكلام وشفاعة الصدق له :**

يتحدث ابن رشد عن إطالة الكلام ، خاصة إذا كان الكلام لا يوجد فيه تغيير ولا محاكاة ، مبينا متى يكون مقبولاً إن كان على هذه الحالة .

يقول :" ومتى طال الكلام وليس فيه تغيير ولا محاكـــاة ، فينبغـــي أن يعتني في ذلك بإيراد الألفاظ البينة الدلالة، وهي التـــي تـــدل علـــي أشـــياء بأعيانها ، لا على أشياء متضادة أو مختلفة ، ويكون تركيبها على المشهور عندهم ، وتكون سهلة عند النطق .

---

(١)فن الشعر ــ أرسطوطاليس - الفن التاسع من كتاب الشفاء لابن سينا ص ١٦

(٢) كتاب فن الشعر - تلخيص كتاب أرسطوطاليس فى الشعر - تأليف أبي الوليـــد بـــن رشد (الشرح الوسيط) ص ٢١٤ .

ويشبه أن يكون هذا هو أكثر ما ينطلق عليه في لسان العرب اسم " الفصاحة " ، إلا أن يكون ذلك القول ظاهر الصدق ومشهوراً . فإن الصدق الذي يتضمنه يشفع لما فيه من قلة الفصاحة وقلة التغيير والمحاكاة "[١]

*** مصطلح الصدق في النقد العربي القديم:**

لقد مر النقد الأدبي بمراحل عدة،فقد اعتمد في بدايته على الذوق ، والجمهور،ثم جعل الاكتساب والمهارة شرط فيه ... الخ هذه الأمور . فهل عرف القدماء مفهوم الصدق في نقدهم الأدبي ؟

فلو رجعنا إلى كتب النقد القديمة ، لوجدنا قصة جديرة بالاهتمام ، ولفت النظر إليها ، ألا وهي قصة سيدنا عمر t ومدحه لزهير ، فما كان مدحه وتفضيله لزهير على كثير من الشعراء ، إلا لأنه يمدح الرجل بما فيه، ولا يستخدم وحشي الكلام " أخبرنا ابن سلام قال أخبرني عيسى بن يزيد بن دأب بإسناد له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال لي عمر أنشدني لأشعر شعرائكم قلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال زهير وكان كذلك قال : كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حوشية ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"[٢]

ثم قال ابن سلام عقب هذا الكلام : " وقال أهل النظر كان زهير أحكمهم شعراً وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح "[٣]

فسيدنا عمر ضي الله عنه لم يمدح زهيراً إلا لأنه كان صادقاً في قوله فلا يمدح الرجل إلا بما هو فيه ، لا يزيد عليه شيئاً ، إلا أن لابن رشيق في العمدة وجهة نظر في الكلام السابق ، حيث يرى أن آخر كلام سيدنا عمر إذا قوبل بآخر الكلام الذي ذكره ابن سلام تناقض قول ابن سلام ذلك لأن " عمر رضي الله عنه إنما وصفه بالحذق في صناعته ، والصدق في منطقه ، لأنه لا يحسن في صناعة الشعر أن يعطى الرجل فوق حقه من المدح ؛ لئلا

---

(١) كتاب فن الشعر تلخيص كتاب أرسطوطاليس فى الشعر - تأليف أبي الوليد بن رشد (الشرح الوسيط) ص ٢٤٧

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ص ١٨.

(٣) المرجع السابق ص ١٨.

يخرج الأمر إلى التنقص والازدراء ... وقد استحسن عمر رضـــي الله عنـــه الصـــدق لذاته ، ولما فيه من مكـــارم الأخـــلاق ، والمبالغـــة بخـــلاف مـــا وصف"[١]

ومن وجهة نظري الخاصة أن سيدنا عمر رضي الله عنه ، إنما قـــوم زهيراً من وجهة نظر أخلاقية ، وفنية ، فالجانب الأخلاقي في كونـــه مـــدح الرجل لصدقه ، وأنه لا يذكر الرجل إلا بما هو فيه، وتلك فضيلة ، ألا تـــرى معي بأنك إن كنت على سبيل المثال بخيلا ، ومدحك إنسان في وقـــت مـــا بالكرم ألا تشعر بأن ذلك ذم ، ومنقصة لشأنك ؟ نعم فمدح الرجل بمـــا هـــو ليس أهلا مذمة ونقصان،وعكس ذلك إن مدح بما هـــو فيـــه ، فإنهـــا قمـــة الصدق .

أما الناحية الفنية فتتمثل في قوله " كان لا يعاظـــل بـــين الكـــلام " لا يركب كلمة على كلمة فيكون الغموض والتعقيد ولا يستخدم الوحـــشي مـــن الألفاظ .

ثم يدلل ابن رشيق على أن عمر رضي الله عنه كان استحسانه لزهير إنما هو استحسان للصدق ، يستشهد على ذلك بما جاء في الأثر: " أن رجلاً قال لزهير : إني سمعتك تقول لهرم :

ولأنْـــــتَ أشْـــــجَعُ مـــــن أسَـــــامَةَ إذْ

دُعِـــــيَ النـــــزَالُ ولُـــــجَّ فـــــي الـــــذُّعْر

وأنت لا تكذب في شعرك ، فكيف جعلته أشجع من الأسد ؟ فقال: إني رأيته فتح مدينة وحده ، وما رأيت أسداً فتحها قبل قط !! فقد خرج لنفـــسه طريقاً إلى الصدق ، وبعداً عن المبالغة " [٢]

إن القارئ لهذه الفقرة ، قد يصاب بالوهلة في بداية القراءة ، أو عند القراءة الأولى كما يقال ، فكيف يكون الإنسان أقوى من الأسد ؟

---

(١) العمدة لابن رشيق ــ دار الجيل ــ تحقيق محمد محـــى الـــدين عبدالحميـــد ١ /٩٨.

(٢) العمدة لابن رشيق ص٩٩, الصناعتين للعسكري ص ٢٦١ - ط : دار الكتب العلمية - بيروت .

إلا أن الوهلة ، أو الصدمة التي تلقاك تزول بمجرد أن تعلم أن الرجل أيضاً لم يمدح الرجل إلا بما هو فيه حقيقة ، حيث الإنسان يفتح مدينة ، إنما الأسد لا يقدر على ذلك ، إنه الصدق بعينه .

وهناك من النقاد المحدثين الذين تناولوا قول سيدنا عمر t عن زهير وأعجبني تحليلهم لهذا الرأي ، منهم صاحب كتاب " النقد العربي القديم " يقول : " هذا نقد موجه إلى مكان الصدق في شعر زهير ، فهو لا يمدح الرجل بغير ما فيه ، مع أنهم أباحوا أن يكذب الشاعر في المديح ويبالغ ، ولكنه الدين الذي رفض الكذب في كل صوره " لا تكذبوا البتة " وهذا سر إعجاب عمر t ، مضافاً إليه جمال الصياغة ووضوح المعنى ، واستخدام اللفظ الشائع المشهور ، وذلك نقد موجه إلى الفن"[١].

نعم لقد وعى عمر رضي الله عنه الجانب الأخلاقي، والجانب الفني في نقده .

أما الدكتور / غنيمي هلال فله رأى في هذه القضية ، من الأهمية بمكان ذكره أيضاً بقوله : " إن نقاد العرب ما لبثوا أن دعوا إلى شرف المعنى والإصابة في الوصف ... فدعوا إلى أن يقصد الشاعر إلى صياغة الصفات العامة دون الصفات الخاصة ، وإلى اختيار خير الصفات بحيث يصور الممدوح أو المحبوب ... على خير ما يؤلف من الصفات ، دون مبالاة بما يتطلبه صدق الموقف ، أو مراعاة الواقع ولذا حكوا عن عمر t أنه أثنى على زهير ، لا لأنه يمدح هرم بن سنان بما كان فيه من صفات بل لأنه كان يمتدحه بما يكون في الرجال ، وفي هذا لا وجه لمطالبة الشاعر عنده بالصدق ، صدق الواقع ووصف دقائقه كما يراها الشاعر أو كما يشعر بها . فرأى أكثر النقاد أن الشاعر لا يتقيد بصدق أو كذب ، بل إن مقياس براعته هو اقتداره على الصناعة والصياغة "[٢]

(١) النقد العربي القديم ــ دراسة وتحليل د/ عبد اللاه محمود حسن - مطبعة الأمانة ١٩٨٥ ص ١٩٣.

(٢) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ــ ط : نهضة مصر ص ٢١٣ــ ٢١٤.

إذن هذا الرأي يميل إلى الرأي الذي ذكرناه سابقاً ، والذي يؤكـد أن الشاعر لم يطلب منه إلا حسن الصياغة ، وجودة اللفظ ، وشرف المعنـى، دون مراعاة للصدق ، أما الصدق فلا يطلب إلا من الأنبياء كمـا قـال أحـد الفلاسفة عندما سئل عمن يكذب في شعره ، لكن هذا يتطلب منا سؤالاً هـل كان سيدنا عمر t غير قادر أن يقيم الشاعر التقييم الفني الذي يتحدث عنه النقاد ؟

والإجابة من وجهة نظري الخاصة كلا وألف كلا ، إن سـيدنا عمـر رضي الله عنه امتدح الجانب الفني ، إلا أنه لم ينس الجانب الأخلاقي الـذي يمليه عليه الدين ، وهو الصدق في الوصف ، وألا ينطبق قول ربنا تبـارك وتعالى على الشاعر الذي يجعل الخيال والغلو هما الأساس في شعره فيصير كذاباً يقول الله تعالى:{وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُـلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ}(١)

وتأتي القيمة النقدية التي قام بها سيدنا عمر t عند الآية التالية: { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً }(٢)

من هنا أرى أنني أميل إلى استعمال الصدق وهو الجانب الأخلاقي إن صح التعبير إلى جانب مراعاة الناحية الفنية من جـودة ألفـاظ ، وحـسن صياغة ، وشرف معنى ... الخ .

ويؤكد ذلك الدكتور/ غنيمي هلال معترضاً على هؤلاء النقـاد الـذين جعلوا مقياس البراعة في الشعر هو جودة الكـلام ، وحـسن الـصياغة ، وفصلوا بين العمل الفني والصدق يقول: " وفي الفصل بـين العمـل الفنـي والصدق ــ صدق الواقع والصدق الفني ــ مساس خطيـر بأسـس الفـن الجوهرية ، إذ لا يستطيع فنان آداء رسالته إلا بالتزام الصدق الواقعي على حسب ما يراه هو أو يفكر فيه كما يعتقد ، أو ما يشعر به ... وقـد يتطلـب الصدق من الفنان أن يتحرر في فنه وأدبه من عقائـد سـائدة ، أو مـزاعم

(١) سورة الشعراء الآيات من ٢٢٤ : ٢٢٦.

(٢) سورة الشعراء آية :٢٢٧.

أخلاقية واجتماعية قائمة ، ولكن لا وجود لفلسفة فنية ذات قيمة تفصل ما بين العمل الفني والصدق " [١]

مما سبق يمكنني القول بأن سيدنا عمر t برأيه في زهير إنما تعد مقاييسه النقدية من أعظم ما وضع ناقد حاذق ، حصيف . إذ لا يمكن الفصل بين الجانب الفني والجانب الأخلاقي المتمثل في الصدق.

كان " للنقاد العرب القدماء موقفان مختلفان من قضية الصدق والكذب كان القول السائر عندهم : (إن أعذب الشعر أكذبه) "[٢]

فعلى سبيل المثال نجد أن صاحب الصناعتين يقول : " إن الشعر أكثره قد بنى على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة، والنعوت الخارجة عن العادات والألفاظ الكاذبة، من قذف المحصنات، وشهادة الزور، وقول البهتان، لاسيما الشعر الجاهليّ الذي هو أقوى الشعر وأفحله، وليس يراد منه إلاّ حسن اللفظ، وجودة المعنى ، هذا هو الذى سوغ استعمال الكذب وغيره " [٣]

ثم يذكر لنا رأياً لبعض الفلاسفة ، يؤيد فيه الكذب ، لما سأله أحد الناس أن فلاناً يكذب في شعره، فقال: " يراد من الشاعر حسن الكلام، والصّدق يراد من الأنبياء "[٤].

ثم بين لنا أن الأمر لم يكن مقصوراً على الجاهلين فقط ، فإن : " صاحب الرياسة والأبّهة ... لو خطب بذكر عشيق له، ووصف وجده به، وحنينه إليه، وشهرته في حبّه، وبكاه من أجله لاستهجن منه ذلك، وتنقّص به فيه... ولو قال في ذلك شعراً لكان حسناً "[٥].

---

(١) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص ٢١٥.

(٢) المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين د/ شكري محمد عياد ــ عالم المعرفة (١٧٧) ص ١١٨ – سلسلة كتب ثقافية شهرية – المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ربيع الأول ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م .

(٣) الصناعتين في الكتابة والشعر ــ أبو هلال العسكري ــ تحقيق د/ مفيد قميحة ــ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ١٥٤, ١٥٥.

(٤) الصناعتين ص ١٥٥.

(٥) الصناعتين ص ١٥٧.

نعم إن الأمر يكون مستغرباً ، وبعيداً عن الصدق إن رأيـت صـاحب الرياسة والأبهة يخطب ودَّ مرؤسيه، فذلك مما يخالف العـرف ، وينـاقض الواقع، ويميل إلى الكذب والخداع .

وما زلنا نتحدث عن هذا المفهوم ــ الصدق والكـذب ــ فـي النقـد العربي القديم ، وكلما فتشنا وقرأنا ظهر لنا العديـد ، والكثيـر مـن الآراء والتي كم هي مختلفة حول هذا الموضوع ، فإذا ما انتقلنا إلى مصدر آخـر مثل " الأغاني " نجد بين طياته ، وضمن محتواه ، حواراً دار بين " عبد الله بن أبي عتيق " و " كثير عزة " استخدم فيه " عبد الله ابن أبي عتيق " عبارة " أقنع وأصدق منك " وذلك في معرض الموازنـة بـين كثيـر وشـاعرين آخرين"[١]

إن العبارتين السابقتين تحملان في معناهمـا حـالتين مختلفتـين ، "فالصدق " يراعي حال الشاعر ، والواقع ، ومطابقته لهذا الواقع .

أما " الإقناع " فبالضرورة ينظر فيه الشاعر ، أو المبدع إلـى حـال المتلقي ، ومشاعره ، وأحاسيسه .

إن الصدق في العبارة الصادقة لا يتعدى المفهوم الذي نرجوه اليـوم في استعمالاتنا ، ألا وهو المفهوم الأخلاقي ، الفنـي ، أن يكـون الـشاعر صادقاً فيما يقول ، وعمن يقول ، إلى جانب البعد عن الألفـاظ الوحـشية ، والإتيان بألفاظٍ ، ومعانٍ يقبلها العقل ، وتميل إليها النفس .

*** الاتباعيون أو الكلاسيكيون :**

إن الاتباعيين ، أو الكلاسيكيين العرب كانوا يسيرون على مبدأ مـن قبلهم " ويرون الخروج على الآداب العامة في الشعر ليس ممـا يعـاب بـه الشاعر ، لأن الشأن في الشعر الكذب " [٢]

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج٥ ص ١٠٥ ط : دار الفكر بيروت ط : الثانية ــ تحقيق سمير جابر .

(٢) المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين د/شكري عياد ــ عالم المعرفة(١٧٧) ص ١١٨.

إذاً هم يسيرون على نهج القدماء ، ويؤكدون بأن الكذب ليس عيباً وجوده في الشعر .

*** المدرسة الحديثة أو الرومانسيون العرب :**

كان للرومانسيين العرب وجهة نظر مختلفة عن الكلاسيكيين ، إذ رأوا أن " الشعر بحاجة إلى ثورةٍ تقطع ما بينه وبين " الكذب التقليدي " وتخلصه للتعبير الصادق عن أعمق عواطف الشاعر الذاتية " [١]

رأينا الاختلاف البين ، والواضح ما بين الكلاسيكية ، والرومانسية فإن الأخيرة تدعو إلى تخلي الشعر عن الكذب الذي أصبح تقليدياً ، والعودة إلى مساره الصحيح من الناحية الفنية ، وهو التعبير الصادق عن أعمق العواطف الذاتية للشعر.

وبعد لعلنا بهذا نكون قد استطعنا أن نذكر بعضاً من الآراء التي وضحت لنا نظرة النقاد القدامى لقضية الصدق والكذب في الشعر.

*الصدق والمتلقي :

جعل ابن طباطبا علة الشعر الحسن المقبول " الاعتدال " ، وما الاعتدال إلا معادل فني لكلمة الصداق ، كيف لا ؟ وهو ضد الغلو والإغراق والتخييل المبالغ فيه يقول في ذلك :

" وعلة كل حسن مقبول الاعتدال ، كما أن علة كل قبيح منقى الاضطراب .

والنفس تسكن إلى كل ما وافق هواها ، وتقلق مما يخالفه ، ولها أحوال تتصرف بها فإذا ورد عليها في حالاتها ما يوافقها اهتزت له ، وحدثت لها أريحية وطرب ، فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت، واستوحشت.[٢]

---

(١)المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين د/ شكري عياد ــ عالم المعرفة (١٧٧) ص ١١٩ .

(٢) عيار الشعر لمحمد بن طباطبا العلوى ص ٥٣ – تحقيق وتعليق د / محمد زغلول سلام – منشأة المعارف بالإسكندرية .

* صدق المعاني:

يستحسن ابن طباطبا " في المعاني الوضوح والبيان والـصدق فـي التعبير عن المراد ، ومناسبة المقام " [١] ثم يقوم بالعملية التطبيقية ، فيذكر لنا أبياتاً يطبق عليها ويصفهاً " بالأبيات الحسنة الألفاظ ، المستعذبة الرائقة سماعاً ، الواهية تحصيلاً ومعنى ، وإنما يستحسن منها اتفاق الحالات التـى وضعت فيها ، وتذكر اللذات بمعانيها ، والعبارة عما كان فى الضمير منها ، وحكايات ما جرى من حقائقها ، دون نسج الشعر ، وجودته وإحكام وصفه، وإتقان معناه فاختار قول جميل :

فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها
وإذ هي تذري الدمع منها الأنامل
عشية قالت في العتاب قتلتني
وقتلي بما كانت هناك تحاول [٢]

لم يلتفت ابن طباطبا إلى نسج الشعر أو إحكـام رصـفه ، أو إتقـان معناه ليحكم بجودته ، وإنما نظر أول ما نظر إلى أن هذا الشعر يعبـر عمـا في ضمير صاحبه ، كما يحقق الحقائق دون مبالغة ، حتى أننا نجد الـدكتور / محمد زغلول سلام يقول : " وماذا في الشعر غير ما ذكر من تعبير الشعر بألفاظه عما وضعت فيها وتذكر اللذات بمعانيها ،العبـارة عمـا كـان فـي الضمير منها ، وحكاية ما جرى من حقائقها . ماذا بقى في المعاني الشعرية بعد ذلك " [٣] .

فالمستحسن عند ابن طباطبا من الأبيات السابقة " حقـائق معانيهـا الواقعة لأصحابها الواضعين لها دون صنعة الشعر وإحكامه " [٤]

---

(١) مقدمة عيار الشعر ص ٢٦ .

(٢) عيار الشعر ص ١١٩ ، وديوان جميـل ص ١٥٨ – الطبعـة الثانيـة – القـاهرة ١٩٦٧م.

(٣) مقدمة كتاب عيار الشعر ص ٢٧.

(٤) عيار الشعر ص ١٢٠ .

" أما أن يكون الشعر صادقاً فى التعبير عما يحسه الشاعر ، عدلاً ، فهو مقياس قال به ابن طباطبا " [١]

* الصدق وعلاقته بالفهم (العقل):

طالما كان الفهم عند ابن طباطبا هو الرافد الأساسي الذي يمد الشعر، فلا عجب أن يكون الصدق عنصراً هاماً من عناصر الشعر عند ابن طباطبا ذلك لأن " نظم الشعر في رأى ابن طباطبا عملا عقلياً خالصاً ، وكان تأثير الشعر عقلياً كذلك ، لأنه مقصود بمخاطبة الفهم ، ووسيلته إلى هذا هي الجمال أو الحسن ، والسر في كل جمال الاعتدال ... ولذلك لا يتحقق جمال الشعر إلا بالاعتدال ... ومادام الفهم هو منبع الشعر ومصبه ، فلا غرابة أن يجعل ابن طباطبا عنصر الصدق أهم عناصر الشعر وأكبر مزاياه ، لأن هذا الصدق صنو للاعتدال الجمالي في حرم الفهم "[٢]

وعن علاقة الفهم بالصدق يقول أيضاً :" ... والفهم يأنس من الكلام بالعدل ، الصواب الحق ، والجائز المعروف المألوف ، ويتشوف إليه ، ويتجلى له ، ويستوحش من الكلام الجائر ، والخطأ والباطل ، والمحال ، والمجهول المنكر ، وينفر منه ، ويصدأ له " [٣].

من خلال ما ذكر من فقرات سابقة يفهم منها أن الجمال ، والحق يعد معادلاً لمفهوم الصدق ، وهذا هو فهم الدكتور/ إحسان عباس ، ووجهة نظره تجاه تلك القضية ، وهو ما أميل إليه وأستحسنه ، يقول في ذلك " الجمال والحق " أو الصدق " مترادفان هنا في الدلالة ، فهذا الصدق يعنى السلامة التامة من الخطأ في اللفظ والجور في التركيب والبطلان في المعنى ، أي هو أن يتمتع الشاعر بالاعتدال بين هذه العناصر جميعاً ، فإذا هو بسبب الشعر شئ جميل لأن ميزان الصواب قبل ما فيه من لفظ ومعنى وتركيب "[٤]

---

(١) مقدمة عيار الشعر ص ٢٧.

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ إحسان عباس ص ١٤١, ١٤٢.

(٣) عيار الشعر ص ٥٢ .

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ احسان عباس ص ١٤٢.

وإذا كان هذا هو الصدق في مجمله العام كما يرى الدكتور/ إحـــسان عباس ، إلا أنه يرى أن هناك أشياء لا بد أن تتحقق إلى جانـــب ذلـــك فـــي الفنان أو المبدع ، وفي العمل الأدبي نفسه يقول : " لابد أن يتحقق الـــصدق في الفنان نفسه وفي بعض عناصر العمل الفني ، ولهذا كانت لفظة الـــصدق متفاوتة الدلالة عند ابن طباطبا "[١]

فابن طباطبا " يركز فى تلقى الشعر على الفهم أولاً ، ثم الـــذوق ، أى أن يكون الشعر مقبولاً لدى الفهم ، أى العقل ، واقعاً فيه موقعـــه ، ثـــم أن يكون ممتعا أو لذيذاً ، فاللذة مدخل إلى الفهم ، أو وسيلة إليه ، وليست فـــى ذاتها غاية " [٢]

فعند ابن طباطبا " عيـــار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب ، فما قبله واصطفاه فهو وافٍ ، وما مجه ونفاه فهو ناقص " [٣]

ولا يكون الشعر قريباً إلى الفهم ، إلا بالصدق ، وما الصدق إلا القرب من الحقيقة يقول د/ زغلول سلام : " ومما يجعل الشعر قريباً إلـــى الفهـــم ، معقولاً لديه الصدق ، وهو القرب من الحقيقة "[٤]

تلك هي العلاقة القائمة بين الصدق ، والفهم . فلا يمكـــن للـــشعر أن يصل بمضمونه إلى العقل إلا عن طريق الصدق ، وهو ما رآه ابن طباطبا.

* الشعر والكذب :

أما إذا حدث عكس ما ذكرنا من أن الصدق هو الذي يقرب الحقيقة إلى الفهم ، فصار الفهم بعيداً عن الحقيقة ، قريباً من الغلو والمبالغة هنا يتحقق الكذب ــ يقول د / زغلول سلام فى إحدى تعليقاته فى مقدمة الكتاب

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) مقدمة عيار الشعر ص ٣٦ ، ٣٧.

(٣) عيار الشعر ص ٥٢ .

(٤) مقدمة عيار الشعر ص ٣٧ .

" ولا يقبل الفهم البعد عن تلك الحقيقة، فيكون الكذب، في صورة المبالغة، والتكلف ممثلاً في الإسراف في اللفظ ، والخروج به عن حدود المعنى "[١] .

عند الحديث عن قضية الكذب في الشعر ، أرى أن تكون لي وقفة لتحديد مفهوم هذا المصطلح ، عند من نادوا به في الشعر ، فموقف " ابن طباطبا " هو موقف الرافض لهذا المفهوم ، الدال عليه لفظه ، والذي يدل على المبالغة والغلو ، والإغراق . ولكني قبل كل هذا أحمل في ذاكرتي سؤالاً أراه هل المقصود بالكذب هو الكذب الفني أم الكذب الأخلاقي أم غيرهما ؟

وللإجابة عن ذلك أرى أن الكذب الأخلاقي أمر مرفوض لأنه ضد مبادئ الدين السمحة .

أما الكذب الفني فأمر مرفوض أيضاً ، لأن الفن في حقيقته وأصله يقوم " بثقل العاطفة الإنسانية، فإذا كان الفن هو المعبر الأكبر عن تجارب الحياة الإنسانية ، والأداة العظمى لنقل هذه التجارب وتخليدها ، فمن الواضح أنه لن تكون له هذه القيمة إلا إذا كان تعبيره هذا تعبيراً صادقاً ، فلم يعرض إلا التجارب الحقيقة التى تجربها الإنسانية فعلاً في حياتها هذه، وكان تصويره لتلك العواطف تصويراً صادقاً لا كذب فيه ولا تزييف بل لا مبالغة ولا تهويل "[٢]

إلا أن هناك فريقاً من النقاد القدامى لم يقفوا عند قبول الكذب وفقط ، وإنما " استحسنوه وتطلبوه واشترطوه فهم يستشهدون كثيراً بالمقولة الشائعة " أعذب الشعر أكذبه " [٣] .

كما نجد أن النقاد ، والأدباء كثيراً ما يروون على سبيل المثال قول ابن رشيق في كتابه العمدة " ومن فضائل الشعر أن الكذب - الذي اجتمع

---

(١) مقدمة عيار الشعر ص٣٧ .

(٢) مجلة الأدب الإسلامي ــ العدد ٥٨ سنة ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م شعر حسان بن ثابت في ميزان النقد والفن ص٥٨ ــ نجدت كاظم لا ط ــ الأردن .

(٣) مجلة الأدب الإسلامي ــ العدد ٥٨ سنة ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م ص٥٩ .

الناس على قبحه - حسن فيه، وحسبك مـــا حـــسن الكـــذب، واغتفـــر لـــه قبحه"[١].

فها هو يمتدح الكذب ، بل ويغتفر له قبحه في العمل الفني .

أما " قدامة بن جعفر " فيقول حين يتحدث عن المعنى الجيد من الغلو والاقتصار " إن الغلو عندى أجود المذاهب وهو ما ذهب إليـــه أهـــل الفهـــم بالشعر والشعراء قديماً ، وقد بلغنى عن بعضهم أنه قال : أحـــسن الـــشعر أكذبه " [٢] .

نجد أيضاً مما سبق أن قدامة قد عدَّ الشعر الكاذب من أجود المذاهب التي يميل إليها ، ويؤيدها، ويظهر إعجابه بمقولة " أعذب الشعر أكذبه " من خلال مدحه لمن قالوها ، ونعته لهم بأنهم أهل الفهم بالشعر .

وهذا القول مرفوض ذلك لأن كثيراً من الشعراء العظماء رفضوا أن يمدحوا مخافة من الوقوع في الكذب .

ومن الشعراء من ترفَّعَ عن المدح ، مثل جميل بن عبد الله بن معمر، وعمر بن أبى ربيعة ، ضناً بكرامتهم ولأن المدح كان مزلقة إلى الكذب "[٣]

ويرى الدكتور / غنيمي هلال أن النقاد قد انقسموا فيما بينهم ، فيمـــا يخص المبالغة ، والتي تؤدى إلى الكذب " فقليل منهم من ينكرها جملة،لأنها لا تجرى على منهاج الصدق، وفضيلة الصدق لا تنكر،ثم إن المبالغة لا يكاد يستعملها إلا من عجز عن استعمال المألوف فيلجأ إليها ليسد عجزه "[٤] .

يُرْجع الدكتور / غنيمى هلال ابتعاد الشاعر عن الـــصدق ، واتجاهـــه نحو المبالغة لعجزه وعدم قدرته على الإبداع ، فيهرب إلى الخيال ، والغلو .

---

(١) العمدة لابن رشيق ــ ط : دار الجيل ١ / ٢٢ – تحقيـــق / محمـــد محيـــى الـــدين عبد الحميد .

(٢) نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر – تحقيق وتعليق د / محمد عبد المنعم خفاجى ص٩٤ – ط أولى ١٣٩٨ هـــ / ١٩٧٨م – مكتبة الكليات الأزهريـــة (بتـــصرف يسير) .

(٣) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص٢١٢ ، ٢١٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٢١٩ .

ولكن هناك رأياً في قضية الكذب أراني أميل إليه وهو ما ذكره عبد القاهر في قوله " وكذلك قول من قال : (خير الشعر أكذبه) فهذا مراده ، لأن الشعر لا يكتسب من حيث هو شعر فضلاً ونقصاً وانحطاطاً وارتفاعاً بان ينحل الوضيع من الرفعة ما هو منه عار ، أو يصف الشريف بنقص وعار ، فكم جواد بخله الشعر وبخيل سخَّاه " (١) .

فوصف الشريف بما يعيبه ، وتبخيل الجواد على غير حقيقة إنما يُعدُّ كذباً أخلاقياً ، وكذباً فنياً ، وكأن الإمام عبد القاهر أيضاً يطلب أن يمدح الرجل بما هو فيه دون زيادة أو نقصان ، وهذا هو الصدق بعينه .

وبعد : فتلك بعض الأمثلة لما ذكره النقاد حول لفظة " أعذب الشعر أكذبه " تلك المقولة التي لا يؤيدها ناقدنا " ابن طباطبا " حيث نراه ، وقد جعل الصدق عاملاً أساسياً في الشعر ، بل من العوامل التي تقرب الشعر إلى العقل .

المعاني والكذب :

قسّم أبو هلال العسكري المعاني ، وجعلها على وجوهٍ منها ما هو مستقيم حسن ، ومنها ما هو مستقيم قبيح ، ومنها ما هو مستقيم كذب يقول :" وأما قولك حملت الجبل وأشباهه فكذب وليس بمحال ... ويجوز أن يكون الكلام الواحد كذباً محالاً وهو قولك رأيت قائماً قاعداً ومررت بيقظان نائم فتصل كذباً بمحال فصار الذي هو الكذب هو المحال بالجمع بينهما ، وإن كان لكل واحد منهما معنى على حياله وذلك لما عقد بعضها ببعض حتى صار كلاماً واحداً " (٢) .

*الصدق وطريقة العرب في التشبيه :

يتحدث " ابن طباطبا " عن طريقة العرب في التشبيه ، وما أودعته من أوصاف في أشعارها ، وعن تشبيهاتهم الصادقة يقول : " اعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ج٢ ــ مكتبة القاهرة ــ تحقيق د/ خفاجي ص١٤٤ ، ١٤٥ .

(٢) الصناعتين أبو هلال العسكري ص ٨٥ ــ دار الكتب العلمية .

معرفتها، وأدركه عيانها ، ومرت به تجاربها .... فـشبهت الـشيء بمثلـه تشبيهاً صادقاً على ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادتها " [١] .

فلابد للشاعر من تضمين شعره أوصافاً تساعد على تصديقه ، معتمداً في ذلك على تجاربه الخاصة التي مرَّ بها ، أو سمعها شريطة أن يـصدقها هو أولاً ، حتى يستطيع أن يقنع الآخرين بها ، كما يؤكد علـى أنـه علـى الشاعر أن يجعل تشبيهاته قريبة من المثال ، أو الحقيقة .

أما الآن ، وقبل أن نذهب إلى " الصدق " بمفهومه المتفاوت الدلالـة عند" ابن طباطبا " أرى أنه لابد أن أعرض لعبارة " خير الشعر أصدقه " أو" أحسن الصدق أصدقه " مثلما تعرضنا من قبل لعبارة " أجود الـشعر أكذبـه" وذلك حتى يستطيع القارئ بنفسه أن يختار أي العبارتين الشعر يحتاج ، ثم بعدها نتحدث عن " مفهوم الصدق " عند النقاد والأدباء ــ ثم الصدق بدلالاته المختلفة عند " ابن طباطباً العلوى " .

*أعذب الشعر أصدقه :

قلنا سابقاً إن الصدق في العمل الأدبي هو أن يكون ذلك العمل شبيهاً بالمثال ، أو قريباً منه ، كما أنه ينشد الحقيقة حيثما حلت ، لكن هل معنـى هذا أن الصدق في العمل الفنى لابد له من نقل الحقائق كما هى دون تـدخل فنى من المبدع ؟ .

اعتقد أن نقل الحقائق كما هى لا يصلح في العمـل الفنـى ، وإنمـا يتحول هنا إلى حقيقة علمية ، وهذا ما لا ينشده الأدب ، والشعر خاصـة ــ لذا " إذا نحن قلنا إن زوايا المثلث تساوى قـائمتين ... فإننـا نـستطيع أن نسمى هذه القضية حقيقة ، ونستطيع أن نقول إن من زعم شيئاً مخالفاً لها غض من نفسه أمام العقل ، غير أن خصائص هذه الحقائق المميزة لها هى في مطابقتها للواقع ، ومن ثمَّ فهى أشبه بالصور الفوتغرافية التي يحكم على صدقها أو كذبها كونها مطابقة للواقع أو غير مطابقة له "[٢]

---

(١) عيار الشعر ص٤٨ ، ٤٩ .

(٢) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د/ محمد زكـى العـشماوي ــ دار المعرفـة الجامعية سنة ١٩٩٢م ص١٣ .

نعم يعتمد الشاعر على الصورة الفنية لتقريب وتوصيل ما يريد توصيله إلى سامعيه ، لكنها ليست الصورة الفوتغرافية المطابقة للحقيقة ، وإنما الصورة التشبيهية القريبة من الحقيقة ، أو المماثلة لها .

إذاً وضح لنا أن هناك فرقاً بين التجربة العلمية اليقينية ، والتجارب الأدبية الذاتية من ناحية الصدق ذلك لأن " الصدق في التجربة العلمية خارج عن الذات ، أما الأدب أو الفن عموماً فالصدق فيه لا يرجع إلى الحياة الواقعية التي يحياها الفنان أو الأديب إنما يرجع إلى ما يكون من تواؤم واستجابة بين التجربة التي تتضمنها قطعة من الأدب وبين ما يحدث أو يقع للإنسان من تجارب واقعة بالفعل أو ممكنة الوقوع "[١] .

إذاً وقوع الصدق في الأدب ، أو الفن عامة يرجع إلى مدى العلاقة المتوائمة التي تتضمنها قطعة الأدب ، وبين ما يحدث من تجارب واقعة ، أو ممكنة الوقوع .

أما الآن فعود على بدء ، قلنا عند الحديث عن عبارة " أعذب الشعر أكذبه " إن هناك من الشعراء من ترفع عن المدح لأنه مزلقة إلى الكذب ، إلا أن هناك منهم أيضاً من مال إلى تحري الصدق ، واتخاذه مذهباً له .

يقول حسان بن ثابت t معارضاً المقولة السابقة بمقولة مضادة لها ألا وهى " خير الشعر أصدقه " يقول :

" وإنّ أحسنَ بَيْتٍ أنْتَ قائِلُهُ

بَيْتٌ يُقالُ، إذا إنْشَدتَهُ، صَدَقا

وإنما الشِّعْرُ لُبُّ المرْءِ يَعرضُهُ

على المجالس إن كَيساً وإن حُمُقا

فقد يجوز أن يراد به أن خير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل، وأدب يجب به الفضل وموعظة تروض جماح الهوى .... وتفصل بين

(١) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ــ د/ مصطفى سويف ــ دار المعارف ط: الثالثة ص٢٠٩ ــ نقلاً عن مفهوم الشعر في النقد العربي د/ محمود الحسيني المرسى ص١٤ ، ١٥ .

المحمود والمذموم من الخصال ، وقد ينحى بها نحـو الـصدق فـي مـدح الرجال، كما قيل : كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه "[١] .

في هذا القول تأكيد لكلام " ابن طباطبا " ، الذي أرجـع الأمـر إلـى العقل، وجعل الصدق هو العامل الأساسي الذي يقرب الموضـوع بالعقـل أو الفهم ، أما الدكتور / محمد غنيمي هلال فيرى في التعليق على هذا البيـت أن " نقاد العرب ما لبثوا أن دعـوا إلـى شـرف المعنـى والإصـابة فـي الوصف... فدعوا إلى أن يقصد الشاعر إلى صياغة الـصفات العامـة دون الصفات الخاصة ، وإلى اختيار خير الصفات ... يصف الموصوف على خير ما يؤلف من الصفات ، دون مبالاة بصدق الموقف ، أو مراعاة الواقع ولـذا حكوا عن عمر t أنه أثنى على زهير ، لا لأنه كان يمـدح الرجل بما فيه من صفات، بل لأنه كان يمتدحه بما يكون في الرجال "[٢] .

ثم ذكر لنا موقف النقاد من الصدق والكذب ، موضحاً أنـه لا وجـه لمطالبة الشاعر بالصدق من خلال ما ذكرنا يقول " فـرأى أكثـر النقـاد أن الشاعر لا يتقيد بصدق أو كذب ، بل إن مقياس براعته هو اقتـداره علـى الصناعة والصياغة " [٣] .

هذا الكلام من وجهة نظر خاصة ، بعيد عن الصواب لأنه يحمل فـي معناه حملة أو هجمة شرسة تقطع عرى الصلات القائمة بين العمـل الفنـى والصدق أو صدق الواقع والصدق الفنى ــ كما يـسميه الـدكتور / محمـد غنيمي هلال مما يعتبر " مساساً خطيـراً بأسـس الفـن الجوهريـة ، إذ لا يستطيع فنان أداء رسالته إلا بالتزام الصدق الواقعي على حسب ما يراه هو أو يفكر فيه كما يعتقده ، أو ما يشعر به ، ثم بالتزام الصدق الفنى بـالتعبير

(١) أسرار البلاغة ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ــ تحقيق د/ عبد المنعم خفاجي ــ ج٢ مكتبة القاهرة ص١٤٥ ، والأبيات في العمدة لابن رشيق ص١١٤ .

(٢) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص٢١٣ ــ ٢١٤ .

(٣) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص٢١٤ .

عن حقيقة أصيلة يرجع في تصويرها إلى ذات نفسه ، لا إلى ما حفظ من عبارات وسرق من جمل " [١] .

فالصدق الفني نابع عن حقيقة أصيلة ترجع في تصويرها إلى ذات نفس الشاعر ، لا إلى ما حفظ من عبارات ، أو سرق من جمل .

ولقد أخطأ " ابن طباطبا " في هذا الموقف حيث نراه يلقن أو يُملى على الأدباء من كتاب وشعراء كيفية السطو على المعاني من غيرهم يقول في ذلك : " ويحتاج من سلك هذه السبيل (سبيل سرقة المعاني) إلى إلطاف الحيلة .... حتى تخفى على نقادها والبصراءِ بها.... "[٢] .

كأني و" ابن طباطبا " قد تخلى عن مبدئه ، الذي نادى به وهو ضرورة " الصدق " في العمل الفني ، لأنه المقّرب إلى الفهم ، فها هو يرتد في الرأي ، فكأنه يُرجع البراعة في الشعر إلى جودة الكلام وحسن الصياغة، وهذا ما يمكننا أن نعدّه سقطة من سقطات ابن طباطبا " .

أما من قال عبارة (خير الشعر أصدقه) " كان ترك الإغراق والمبالغة والتجوز إلى التحقيق والتصحيح ، واعتماد ما يجرى من العقل على أصل صحيح ، أحب إليه وآثر عنده ، إذ كان ثمره أحلى ، وأثره أبقى ، وفائدته أظهر ، وحاصله أكثر ، ومن قال " أكذبه " ذهب إلى أن الصنعة إنما يمد باعها وينشر شعاعها ، ويتسع ميدانها ، وتتفرع أفنانها، حيث يعتمد الاتساع والتخييل، ويدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل ..... كما يذهب مذهب المبالغة والإغراق في المدح والذم ... "[٣] .

وبعد ، فإن الصدق ــ وليس الكذب " هو الدعامة الأساسية في الفنون عامة ، وكلما اقترب الفنان أو الأديب أو الشاعر من عنصر الصدق زاد بخاصة في نقل تجربته الشعورية إلى الآخرين "[٤] .

---

(١)النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص٢١٥ .

(٢) راجع : عيار الشعر ص١١٣

(٣) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ــ تحقيق د/ خفاجي ــ مكتبة القاهرة ــ الجزء الثاني ص١٤٥ ، ١٤٦ .

(٤) مجلة الأدب الإسلامي ــ العدد ٥٨ سنة ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م ص٦٠ مقالة بعنوان " شعر حسان بن ثابت في ميزان النقد والفن ــ نجدت كاظم لا طه ــ الأردن .

والآن وقبل أن نتحدث عن مفهومات الصدق المتفاوتة الدلالة عنـد " ابن طباطبا " ، نعرض لبعض الآراء التى تحدثت عـن مفهـوم الـصدق ، لتتضح لنا وجهات النظر المتعددة تجاه هذا المفهوم .

يرى أحد الأدباء أن الشعر" يختلف النسيج فـي شـعر الـشاعر ... بحسب صدقه في التعبير عن نفسه ، لأن هذا الصدق يكسب الكلام قوة ، إذ أن ما يخرج من القلب يقع في القلب ، وما يخرج مـن اللـسان لا يتعـدى الآذان " [١] .

هذا الرأي لا يختلف كثيراً عما قال به النقاد القدامى ، يـرى " عبـد القاهر " أن الباطل ، والكذب إنما يكسبان الشعر المقـت ، ويجعـلاه شـعراً ممجوحاً ، أما محبة الشعر فتكون في الصدق والحكمة يقول : " فكيف وضع من الشعر عندك ، وكسبه المقت منك : أنك وجدت فيـه الباطـل والكـذب، وبعض ما لا يحسن، ولم يرفعه في نفسك، ولم يوجب له المحبة من قلبـك : إن كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب "[٢] .

تنطبق هذه التعريفات من وجهة نظري على تعريف " الصدق " عامة، لكن النقاد ، جُلُّ النقاد نظر عند تعريفه الصدق ، إلى عوامل أخرى مرتبطة بالصدق ، فمن تناولاتهم التي تناولوها مـثلاً : الـصدق الفنـي ، الـصدق والإحساس ، الصدق العلمي ، الصدق والعاطفـة ، وأرى لأنـه لابـد مـن التعريج إلى هذه التعريفات ، ولو بقلة لنقف على مفهوم الصدق من جميـع جوانبه ، ولنأخذ أولاً " الصدق الفني " .

يرى الدكتور/ محمد غنيمي هلال أن الصدق الفني" أي أصالة الكاتب في تعبيره، ورجوعه إلى ذات نفسه، لا إلى العبارات التقليدية المحفوظـة ، وهذا الصدق الفني أو الأصلة هما أساس تقدم الفنون جميعاً"[٣].

---

(١) في محيط النقد الأدبي د/ إبراهيم أبو الخشب ــ الهيئة المـصرية العامـة للكتـاب ص١٢٥ ، ١٩٨٥م .

(٢) دلائل الإعجاز ــ عبد القاهر الجرجاني ، مكتبة ومطبعة محمد على صـبيح الطبعـة السادسة ص٢٦ سنة ١٩٦٠م .

(٣) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمى هلال ص٢١٤ .

فأصالة الكاتب ، وعدم خضوعه للتقليد بأن ينقل عبارات الآخرين نقلاً فوتغرافياً ، تقليدياً ، دون التدخل منه ببنات أفكاره ، النابعة من ذات نفسه يُعدُّ هذا عيباً في شعره .

ويرى ناقد آخر" أن الصدق في الحقيقة الفنية مرده إلى مدى ما يكون من تواؤم واستجابة بين التجربة التي تتضمنها قطعة من الأدب وبين ما يحدث أو يقع للإنسان من تجارب واقعية بالفعل أو ممكنة الوقوع"[١] .

فلما كان مرد الصدق في الفن إلى استجابة بين التجربة ، وبين ما يقع للإنسان ، أرى أنه يقصد " العاطفة " قصداً مباشراً ، ذلك لأنها الرافد الأساسي للتجربة وهذا ما يؤكده بنفسه عند التحليل يقول : " معنى هذا أننا نقبل القضايا في الشعر والأدب من أجل الاستجابات العاطفية التي تثيرها فينا هذه القضايا ... وبالتالي يكون قبولنا لقضايا الفن والأدب قبولاً مؤقتاً ومقصوراً على ظروف خاصة ، هي ظروف الأثر الفني نفسه وما يكتنفه من إحساسات على عكس القضايا العلمية ... وعلى هذا يكون كل ما لدنيا فيما يتعلق بالصدق الفني هو مجرد إحساس بالتصديق لا أكثر" [٢] .

من خلال تعليقه هذا ، أرى أنه يرجع التصديق بالعمل الفني ، لما يحدثه هذا العمل من أثر في نفس المتلقي حتى يجعله يحس ، أو يشعر بأن ما يقدم إليه صادق ، ولا شرط في أن يكون صادقاً حقيقة ، أو وقع بالفعل .

ثم يعرج بنا إلى " الصدق الفني والإحساس " يقول : " وليس من شك في أن هذا الإحساس بالتصديق أو الإقناع أو القبول الذي ينتهي إليه القارئ لأثر فني جيد مرتبط أشد الارتباط بقدرة الأديب أو الفنان على رؤية الحقائق النفسية والإنسانية بصفة عامة ، كما أنه مرتبط بمدى قدرة الأديب على التوصيل ، وكل أديب أو فنان مزود بقدر غير عادى من الحساسية والمقدرة على نقل المشاعر،مقدرة لا يمتلكها أغلبية الناس" [٣]

---

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د/ محمد زكى عشماوي ــ دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٩٢م ص١٥.

(٢)قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د/ عشماوي ص١٥ ، ١٦ .

(٣) قضايا النقد الأدبي د/ عشماوي ص١٦ بتصرف يسير .

إن ما يهدف إليه هذا الناقد ، إنما هو قدرة المبدع على جعل المتلقي يصدق ما يساق إليه من أعمال ، ولو بالإحساس ، أيضاً هناك آخرون أيدوا هذا الرأي ، واهتموا بشأن المتلقي يقول : " بعض الناس يتطلبون الـــصدق فيما ينقل إليهم العمل الأدبي ، والآخرون ، وهم الأغلبية لا يحفلون بالصدق كثيراً ولا قليلاً ، بل ربما فضلوا عليه الكذب ، وهم بطبيعة الحـــال يعنـــون الكذب الفني الذي لا يلحق الإنســـان منه ضـــرر، ويحدث في النفس متعـــة في الوقت نفسه " [١] .

هناك من الآراء ما أميل إليه ميلاً عظيماً ، إذ يرى أن المبدع الـــذي يريد أن يقنع المتلقي ، لابد أن يقتنع هو أولاً بما يعمل ، حتى إذا ما أبكانا ، كان استنفد ماء شئونه ، وفي هذا لابد أن تكون الصلة وثيقة بين الـــصدق والشاعر ، والعاطفة يقول : " إن العاطفة يجب أن تكون صادقة أردنا بهـــذا أن الأديب يجب أن يحس في نفسه الحزن أو الحماسة أو الإعجـــاب الـــذي يطالبنا أن نحسه أيضاً ... والشاعر لا يبكيك إلا إذا استنفد ماء شئونه ، ولا يشجيك إلا إذا استطار الهوى بلبه ، والعامل الفذ للظفر بالسلطان العـــاطفي على القراء هو انبعاث الشعر والنثر عن نفس منفعلة صادقة الشعور " [٢] .

أما الأستاذ الدكتور " زهران محمد جبر " فيقول : " وإذا كانت القـــوة معياراً للعاطفة من حيث درجتها ، فإن معيار القيمة في هذه العاطفـــة هـــو صدقها أي قدرتها على أن تجعل العمل الفني يشق طريقـــة وســـط زحمـــة الموجودات ليبرز بدلالة ويلوح برسالة ، والصدق هنا لـــيس هـــو الـــصدق العلمي ولا الصدق الأخلاقي ، لكنه الصدق الذي ينم على أن العمل الأدبـــي يخبر بشئ يتوافق مع الحياة ... إنه الصدق الفني الذي ينبع مـــن منطقـــة العمل الأدبي [٣] .

---

(١) الأسس الجمالية في النقد العربي ــ عرض وتفسير ومقارنة د/ عز الدين إسماعيل ــ دار الفكر العربي سنة ١٩٩٢م ، ص١٢٩ .

(٢) أصول النقد الأدبي د/ أحمد الشايب ــ مكتبـــة النهـــضة المـــصرية ســـنة ١٩٩٣م ص١٨٠ ، ١٨١ .

(٣) في أصول النقد الأدبي وقضاياه د/ زهران محمد جبر سنة ١٩٨٨م ص١٦٣ .

أيضاً نجد في هذا الرأي مطالبة الشاعر أن يكون صادقاً مع نفسه قبل كل شئ ، حتى يستطيع أن يجعل لعمله طريقاً إلى قلوب المستمعين لهذا العمل الأدبي .

إلى هذه الآراء ، والتي تميل إلى مراعاة حال المتلقي ، وقبوله للعمل الأدبي عندما يمتلك المبدع القدرة على إيصال هذا العمل وجعله ــ أي المتلقي ــ يصدق به تماماً ، بعد أن صدق به مبدع العمل أولاً يرى ريتشارد" أن الصدق الفني هو ما سماه الناس بحالة الاعتقاد أو التصديق، وهذه الحالة عبارة عن إحساس يشعر القارئ بالهدوء والراحة، المصدر الحقيقي للصدق الفنى عنده مجرد شعور لا أكثر يشعر به القارئ أثناء عملية التكيف "[١] .

أما الدكتور / شكري عياد ، فيرجع الصدق الفني إلى العاطفة القوية المتأججة ، التي يمتلكها شاعر صاحب شخصية متفردة ، " فمفهوم الصدق بالنسبة إلى الشاعر الغنائي في معناه أن يكون الشعر معبراً عن وجدان قوى وشخصية متفردة ، ومن ثمَّ فقد لا تكون الحصيلة كلاماً يطمئن إليه القراء على أنه حقيقة " [٢] .

(١) مفهوم الشعر في النقد العربى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى د/ محمود الحسينى مرسى ص١٥ نقلا عن مبادئ النقد الأدبى ــ ١٠١ ريتشارد ــ ترجمة الدكتور مصطفى بدوى المؤسسة المصرية العامة ص٢٧ .

(٢) المذاهب الأدبية والنقد عند العرب والغربيين د/ شكرى عياد ــ عالم المعرفة ص١٢٠ .

*** ضروب الصدق عند "ابن طباطبا" :**

للصدق عند " ابن طباطبا" ضروب مختلفة منها :

الصدق الفني " عن ذات النفس "

يفطن "ابن طباطبا" إلى مقياس الصدق الفني فـــي العمـــل الأدبـــي ، ويتحدث عنه حديث خبير مارس الشعر وأبدعه ، فالصدق عن ذات الـــنفس عنده يكون بكشف المعاني المختلجة في النفس " فإذا وافقت هـــذه المعـــاني هذه الحالات، تضاعف حسن موقعها عند مسمعها، لاســـيما إذا أيـــدت بمـــا يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجـــة فيهـــا، والتصريح بما كان يكتم منها، والاعتراف بالحق في جميعها" [١] .

إنه يطلب قمة الصدق من المبدع ، فلابد أن يكـــشف عـــن المعـــاني المختلجة بمكونات نفسه ، وأن يصرح بما كان يكتم فيهـــا ، وكأنـــه يقـــول للشاعر كن صادقاً فيما تقول ، حتى يصدقك الآخـــرون ، ويكـــون ذلـــك إذا اعترفت بالحق في جميع معانيك .

***صدق التجربة الإنسانية :**

وتتمثل في قبول الفهم للحكمة يعلل " ابن طباطبـــا " ذلـــك " لـــصدق القول فيها وما أتت به التجارب منها"[٢] .

يقول (ابن طباطبا) أيضاً في هذا الموضوع " إن الأشعار ، قائمـــة في النفوس والعقول ، وإظهار ما في الضمائر ، حتـــى تـــصل إلـــى إقنـــاع السامع، بل وبهجته بما يرد عليه ، وبذلك يكون قـــد أدخـــل المتلقـــي فـــي مقاييسه النقدية ، فالشعر إذا حسنت عبارته ، وكان قائمـــاً فـــي النفـــوس والعقول " يبتهج السامع لما يرد عليه مما قد عرفـــه طبعـــه وقبلـــه فهمـــه فالنفوس تألف مثل هذه الأشعار... وترتاح لصدق القول فيها وما أتـــت بـــه التجارب منها، أو تضمن صفات صادقة ... تُصاب حقائقها"[٣]

---

(١) عيار الشعر ص٥٥ .

(٢) عيار الشعر ص١٦٠ .

(٣) عيار الشعر ص١٦٠ بتصرف يسير .

الصدق التاريخي :

وذلك يتمثل عند " اقتصاص خبر أو حكاية كلام "[١]

وفي هذا النوع أجاز ابن طباطبا للشاعر " إذا اضطر إلى اقتصاص خبر في شعر دبره تدبيراً يسلس له معه القول ، ويطرد فيه المعنى، فبنى شعره على وزن يحتمل أن يحشى بما يحتاج إلى اقتصاصه، بزيادة من الكلام يخلط به، أو نقص يحذف منه . وتكون الزيادة والنقصان يسيرين ، غير مخدجين؛ لما يستعان فيه بهما ، وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه، بل تكون مؤيدة له، وزائدة في رونقه وحسنه "[٢] .

الصدق الأخلاقي :

الصدق الأخلاقي هو : " ما لا مدخل فيه للكذب بنسبة الكرم إلى البخيل أو نسبة الجبن إلى الشجاع، وإنما هو نقل للحقيقة الأخلاقية على حالها، وهذا يتبين في المدح والهجاء كما يتبين في غيرهما من الفنون، وهو موقف يذكرنا بثناء عمر t على زهير وأنه كان يمدح الرجل بما فيه، ولكن من المدهش أن نجد سذاجة " ابن طباطبا " أو مثاليته ترى في كل الشعر قبل عصر المحدثين ما رآه عمر t في زهير "[٣] .

تأكيد ذلك ما قاله (ابن طباطبا) في كتابه " ومع هذا فإن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء، وفي صدر الإسلام، من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحاً وهجاء، وافتخاراً ووصفاً ، وترغيباً وترهيباً، إلا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر من الإغراق في الوصف ، والإفراط في التشبيه. وكان مجرى ما يوردونه مجرى القصص الحق، والمخاطبات بالصدق ... " [٤] .

---

(١) عيار الشعر ص٨٣ .

(٢) عيار الشعر ص٨٤ .

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ إحسان عباس ص١٤٣ .

(٤) عيار الشعر ص٤٧ .

يقول الدكتور / زغلول سلام : " وإلـــى جانـــب الـــصدق أو مقاربـــة الحقيقة يأخذ بمعيار " العدل " أو الاعتدال "[١]

من هذا المنطلق يمكننا أن نطرح سؤالاً : هل يستطيع المحدثون مـــن الشعراء أن يسيروا على نفس منوال الجاهليين والإسلاميين ؟

إن " الشعراء في عصرنا إنما يمدحون على ما يستحسن من لطيـــف ما يوردونه من أشعارهم، وبديع ما يغربون من معانيهم، وبليغ ما ينظمونه من ألفاظهم ومضحك ما يوردونه من نوادرهم، وأنيق ما ينسجونه من وشي قولهم، دون حقائق ما يشتمل عليه من المدح، والهجاء، وسائر الفنون التي يصرفون القول فيها ..... " [٢] .

من خلال ذلك يمكننا أن نقول : إن " ابن طباطبا " كان مغرماً بالعرب القدامى في أشعارهم ، فالتصور السابق الذي أوردناه يفسر لنا " كم كانت " السنة " العربية في الشعر تملك لب " ابن طباطبا "، ذلك لأنه لم يكـــن يـــرى المثل الأعلى الفني في تلك السنة وحسب، بل لأنها كانت في تصوره مثـــالاً أخلاقياً كذلك " [٣] .

الصدق التصويرى :

هذا النوع من الصدق يسميه " ابن طباطبا " بالصدق التصويرى أو " صدق التشبيه " وذكره في مواضع متفرقة من الكتاب يقول ناصحاً الشاعر : " ويتعمد الصدق والوفق في تشبيهاته وحكاياته "[٤] .

ويقول أيضاً : " وأحسن التشبيهات ما إذا عكس لـــم ينـــتقض ، بـــل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ، ويكون صاحبه مثلـــه مـــشتبهاً بـــه صورة ومعنى " [٥] .

ويبين لنا أن التشبيهات لها أنحاء مختلفة يقول : " والتشبيهـــات

---

(١) مقدمة عيار الشعر ص٣٧ .

(٢) عيار الشعر ص٤٧ .

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ إحسان عباس ص١٤٤ .

(٤) عيار الشعر ص٤٤.

(٥) عيار الشعر ص٤٩ .

على ضروب مختلفة ، فمنها: تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به حركة، وبطؤاً وسرعة، ومنها تشبيهه به لوناً، ومنها تشبيهه به صوتاً "[١] .

وكلما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض " قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه ، وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له" [٢].

فمن التشبيهات التي أجتمعت فيها الصورة واللون والحركة والهيئة قول ذي الرمة:

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ
كَأَنَّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ
وَقْرَاءَ غَرْفِيَّةٍ أثْأى خَوَارِزُهَا
مُشَلْشِلٌ ضَيَّعَتْهُ بَيْنَهَا الْكُتَبُ[٣]

" فما كان من التشبيه صادقاً من وجهة النظر الخاصة بـ (ابن طباطبا) قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا وما قارب الصدق قلت فيه " تراه أو تخاله أو يكاد "[٤] .

" فإذا خرج الشاعر عن الصدق انتقل إلى الغلو والإفراط، وذلك عيب"[٥] .

"ومتى تضمن الشعر صفات صادقة وتشبيهات موافقة ، وأمثالاً مطابقة تصاب حقائقها ارتاحت إليه النفس وقبله الفهم "[٦] .

" فإذا توفرت للشعر أنواع الصدق، وتوفر للشاعر صدق التجربة جاء شعراً جميلاً معتدلاً مؤثراً " [٧] .

---

(١) عيار الشعر ص٥٦ .

(٢) عيار الشعر ص٥٦ .

(٣) عيار الشعر ص٥٧ ، الديوان ص ٤٣ – طبعة بيروت – بالمكتب الإسلامى ١٩٦٤م.

(٤) عيار الشعر ص٦٢ .

(٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ إحسان عباس ص ١٤٤ .

(٦) عيار الشعر ص١٦٠ بتصرف .

(٧) تاريخ النقد الأدبي ص١٤٤ .

لهذا كله يجب " أن ينسق الكلام ، صدقاً لا كذب فيه، وحقيقة لا مجاز معها فلسفياً كقول القائل:

وفـــي أربـــع منّـــى حلـــتْ منـــكِ أربـــعٌ

فمـــا أنـــا دارٍ أيُّهـــا هـــاجَ لـــي كربـــي

أوجهُك في عينـــي أم الرّيـــق فـــي فمـــي

أم النطق في سمعي أم الحبُّ فـــي قلبـــي[١]

من خلال هذا كله نستطيع أن نقول : إن " ابن طباطبا " قـد التـزم الصدق والحقيقة في العمل الأدبي إلا أن بعض النقاد يرى أن هذا التمـسك بالحقيقة له جنايته على الأدب يقول : " ولا يتضح لنا كم كان التزام " ابـن طباطبا " بالحقيقة شديد الجناية على النقد إلا إذا نحن قرأنا بعض الـشواهد التطبيقية لديه " [٢] .

من ذلك أنه يعيب قول " المثقب العبدي "[٣] على لسان ناقته:

تقـــولُ وقـــد درأتُ لهـــا وضـــيني

أهـــذا دينُـــهُ أبـــداً ودينـــي

أكـــلُّ الـــدهر حـــلٌّ وارتحـــالٌ

أمـــا يُبْقـــي عَلـــيَّ ولا يقينـــي

لأنه يرى أن " هذه الحكاية كلها عن ناقتـه مـن المجـاز المباعـد للحقيقة، وإنما أراد الشاعر أن الناقة لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثـل هذا القول "[٤] .

" ومن الإيماء المشكل الذي لا يفهم، وقد أفرط قائله في حكايته قول القائل :

---

(١) عيار الشعر ص ١٦٩ .

(٢) تاريخ النقد الأدبي د/ إحسان عباس ص ١٤٥ .

(٣) المثقب العبدي شاعر جاهلي عاصر عمرو بن هند ملك الحيرة (الأعلام لخير الدين الزركلي ج٣ ص ٢٣٩).

(٤) عيار الشعر ص١٥٨ .

أومـــــت بكفيهـــــا مـــــنَ الهَـــــوْدج

لـــــولاك هـــــذا العـــــام لـــــم أحْجـــــج

أنـــــت إلـــــى مكـــــة أخرجتنـــــي

خُبَيبـــــاً ولـــــولا أنـــــتَ لـــــم أخـــــرج

فهذا الكلام كله ليس مما يدل عليه إيماء ولا تعبر عنه إشارة " [١] .

" فهذا إفراط ، لأن الإيماء لا يتحمل كل هذه المعاني "[٢] .

موقف " ابن طباطبا " النقدي :

فابن طباطبا يرى في نقده، " اتباع السنة حيث أمكن ذلك أمراً لازماً. وينفي الفرق بين القصيدة والرسالة إلا في النظم ويتـصور الوحـدة فـي القصيدة وحدة مبنى قائم على تسلسل المعاني والموضوعات. بحيث تكون " العملية " الشعرية عملاً عقلياً واعياً تمام الوعي. ويعتبر التأثير الآتـي مـن قبل الجمال - وهو الاعتدال - تأثيراً في الفهم على شكل لذة كاللـذة التـي تجدها الحواس المختلفة في مدركاتها "[٣] .

تعتبر محاولة " ابن طباطبا " النقدية في كتابه عيار الشعر " من أشـد المحاولات النقدية أصالة ، وأكبرها عمقاً، ولكنها تكاد تعتمد اعتمـاداً كليـاً على صفاء الذوق الفني "[٤] .

الاعتدال والجمال والصدق :

" إذا كان الاعتدال ميزة للجمال في الكيان الكلي، فإن الصدق - على اختلاف مفهوماته - هو الذي يهيئ الفهم لقبول المحتوى والتجربـة؛ ذلـك موقف نقدي فيه شذوذ حتى على بعض مفهومات النقد المعاصرة حينئذ ، إلا أنه موقف متكامل ، وفي تكامله سـر انفـراده ، بـين سـائر المحـاولات النقدية"[٥] .

هذا القول يؤكد ما بين الفهم والصدق مـن علاقـة وثيقـة ، فلـولا الصدق ما قبل الفهم التجربة الشعرية .

---

(١) عيار الشعر ص١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) راجع : تاريخ النقد الأدبى د / إحسان عباس ص ١٤٥ .

(٣) عيار الشعر ص١٤٥ ، ١٤٦ .

(٤) تاريخ النقد الأدبي د/ إحسان عباس ص١٢٨ .

(٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د / إحسان عباس ص١٤٦ .

وبعد :

فلعلنا نكون قد وفقنا في عرض قضية الصدق والكـــذب عنـــد" ابـــن طباطبا " ، والآن نسوق بعض النتائج التي خلصنا إليها من هذا البحث .

نتائج البحث

من أهم النتائج التي توصلت إليها بعد هذه الدراسة ما يلي :

١ــ كانت لدى " ابن طباطبا " أثارة من ثقافة فلسفية أفادتـــه فـــي تعميـــق نظرته وإن لم تلهمه أحكاماً بعينها ، فلم تطغ عليه الفلـــسفة ســـواء كانت يونانية ، أو إسلامية ، كما طغت عند" قدامة " مثلاً ، بـــل كـــان يعلمها لكنه لم يستخدمها كأحكام وقوانين، ولذا يمكننا القـــول بعـــدم تأثره بالفلاسفة اليونانيين أو المسلمين ، وذلك لأنـــه اعتمـــد علـــى الذوق في أغلب أحكامه النقدية.

٢ــ اتباع السنة أو الموروث هو معتمد " ابن طباطبا " في نقده .

٣ــ رأى أن للعرب طريقة في تشبيهاتهم مستمدة من بيئتهم ، ودعـــا إلـــى الالتزام بذلك .

٤ــ يرى أن القصيدة والرسالة كلاهما يقوم على معنى في الفكر ، فلا فرق بينهما إلا في النظم .

٥ــ عنصر الصدق عنده من أهم عناصر الشعر ومزاياه فهو الذي يقرب إلى الفهم ، كما أن الصدق يعنى السلامة التامة من الخطـــأ فـــي اللفـــظ، والجور في التركيب ، والبطلان في المعنى ــ فالصدق على اخـــتلاف مفهوماته هو الذي يهيئ الفهم لقبول التجربة والمحتوى .

٦ــ يرى ضرورة مقاربة الحقيقة وهو ما سماه " الصدق في التشبيه" .

٧ــ رفضه التام لعبارة " أعذب الشعر أكذبه " .

٨ــ أول من تنبه لمراحل الإبداع الشعري مما يصدق أكثره على ما توصـــل إليه النقاد المحدثون ، فهو يتفق معهم في أن الإبداع الفنـــي لـــيس تلقائياً بحتاً ، وليس إرادياً من ألفه إلى يائه .

٩ــ درس علاقة الصدق بين المبدع والمتلقى .

١٠ ــ وضع معياراً للصدق الفني بالإضافة إلى تطبيق هذه المعـــايير علـــى عدد النصوص الشعرية أصاب في معظمها .

١١ــ يميل إلى تعمد الصدق والوفق في تشبيهاته .

١٢ــ الصدق يقرب الشعر إلى الفهم ، ولا يقبل الفهم البعد عن تلك الحقيقة فيكون الكذب .

١٣ــ أخذ بمعيار العدل أو الاعتدال إلى جانب الصدق أو القرب من الحقيقة.

١٤ــ جاءت تشبيهاته على ضروب مختلفة متعلقة تعلقاً تاماً بالصدق.

١٥ــ جعل بعض الكلمات متعلقة بالصدق ، فإذا كان التشبيه صادقاً قلت فيه كذا ، وإن كان قريباً من الصدق قلت كذا ، وتلـــك خاصـــة " بـــابن طباطبا " .

تلك هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث في موضوع : " قضية الصدق والكذب عند " ابن طباطبا " فإن أصبت فبفضل الله ونعمته ، وإن أخطأت فمن الشيطان ومن نفسي .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

B

فهرس المصادر والمراجع

١) أرسطوطاليس – فن الشعر – مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابى وابن ســينا وابن رشد ، ترجمة / عبد الرحمن بدوى – دار الثقافة – بيروت .

٢) أسرار البلاغة – الإمام / عبد القاهر الجرجانى – تحقيق . د / خفاجى مكتبة القاهرة .

٣) الأسس الجمالية فى النقد العربى – عرض وتفسير ومقارنة . د / عز الدين إسماعيل – دار الفكر العربى ١٩٩٢م .

٤) الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة – د / مصطفى سويف – دار المعارف – ط الثالثة .

٥) أصول النقد الأدبى - د / أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٣م .

٦) الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى – تحقيق / سمير جابر - ط دار الفكــر – بيــروت – ط ثانية .

٧) تاريخ النقد الأدبى عبد العرب – د / إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت .

٨) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل – تأليف / أبــى القاســم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعى – تحقيق / محب الدين أبى سعيد عمر بن غرامة العمرى - ط دار الفكر – بيروت ١٩٩٥م .

٩) دلائل الإعجاز – عبد القارة الجرجانى – مكتبة ومطبعة / محمد على صبيح – الطبعــة السادسة ١٩٦٠م .

١٠) شعر حسان بن ثابت فى ميزان النقد والفن - نجدث كاظم لاطة – الأردن .

١١) الصناعتين – الكتابة والشعر لأبى هلال العسكرى – تحقيق . د / مفيــد قميحــة – دار الكتب العلمية – بيروت .

١٢) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى – دار النهضة العربية – بيروت .

١٣) العمدة لابن رشيق – تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الجيل .

١٤) عيار الشعر – ابن طباطبا العلوى – تحقيق وتعليق . د / محمد زغلول سلام – منشأة المعارف بالإسكندرية .

١٥) فى أصول النقد الأدبى وقضاياه – د / زهران محمد جبر ١٩٨٨م .

١٦) فى محيط النقد الأدبى – د / إبراهيم أبو الخشب – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٧) قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث . د / محمــد زكــى عــشماوى – دار المعرفــة الجامعية ١٩٩٢م .

١٨) مجلة الأدب الإسلامى – العدد ٥٨ سنة ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م .
١٩) مجلة عالم الفكر – المجلد الخامس والعشرون – العدد الثالث – يناير / مارس ١٩٩٧م – مقال للدكتور / فؤاد المراغى تحت عنوان " نظرية الشعر فى اليونان القديمة " .
٢٠) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء – تأليف أبو القاسم الحسن بن محمد بن المفضل الأصبهانى – تحقيق / عمر الطباع - ط دار القلم – بيروت ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م .
٢١) المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين – د / شكرى محمد عياد – عالم المعرفة – سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ربيع ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م .
٢٢) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – تأليف أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى – ط دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١ هـ / ١٩٩١م .
٢٣) معجم البلدان - ط دار الفكر – بيروت .
٢٤) مفهوم الشعر فى النقد العربى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى – د / محمود الحسينى المرسى – دار المعارف .
٢٥) النقد الأدبى الحديث – د / محمد غنيمى هلال – ط نهضة مضر .
٢٦) نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر – تحقيق وتعليق . د / محمد عبد المنعم خفاجى ط أولى - مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .
٢٧) النقد العربى القديم – دراسة وتحليل . د / عبد اللاه محمود حسن – مطبعة الأمانة ١٩٨٥م .
٢٨) يتيمة الدهر للثعالبى – تحقيق . د / مفيد قميحة - ط دار الكتب العلمية – ط أولى بيروت – لبنان ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .

الدواوين :

٢٩) ديوان جميل – الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٦٧م .
٣٠) ديوان ذى الرمة – طبع بيروت بالمكتب الإسلامى ١٩٦٤م .